صاحب الجنتين

يحيى حاج يحيى - سورية

(مسرحية ذات فصل واحد من مشهدين)

شخصيات المسرحية:

- الشقيق الأول: رجل مؤمن أنفق ماله في سبيل الله.
- الشقيق الثاني: متشكك بالآخرة حريص على الدنيا، لديه بستانان.
- عدد من الجيران، وعدد من الأعوان.

المشهد الأول

(تفتح الستارة، فتظهر لوحتان كبيرتان، تمثلان بستانين فيهما نخيل وأعناب وزروع، وبينهما نهر، وقد وقف الشقيقان قرب النهر يتحاوران)

المتشكك: (وهو ينظر إلى بستانيه بإعجاب)

ما أجمل هذا البستانا
يعطي ثمرات ألوانا
أصنافا أجنيها مالا
وثمارا تُجلى وغلالا

المؤمن: اشكرْ ربك كل أوان

المتشكك: (مستمرا في تجاهله وعجبه)

انظرْ.. ما أحلى بستاني

المؤمن:

اشكرْ من خلق الأشجارا
وخباها ورقا وثمارا

المتشكك: (مصرا على غفلته، ومحاولا تذكير أخيه بفقره، بلهجة بين العجب والاستهزاء)

قل لي: أين ذهبت بمالك ؟!

(ثم يشير إليه باستخفاف)

من يرضى حالا من حالك؟!

(مشيرا إلى بستانيه)

هذا كرمي.. هذا نخلي
فلماذا لم تفعل مثلي؟!

المؤمن: (باعتزاز)

أنفق مالي في الطاعات

لم يذهب.. لكن هو باقي

المتشكك:

ماذا ينفعك الإنفاقُ
أنفقْ وسيأتي الإملاقُ

(بعجب مشيرا إلى نفسه، واضعا يده على صدره، منحرفا عن أخيه قليلا، كأنما يخاطب عددا من الناس)

فأنا لم أنفق من مالي
قرشا، فغدا المال كثيرا

(متباهيا وهو يدور حول نفسه نصف دورة)

فغدا عندي المال كثيرا
وغدا عندي الجاه وفيرا
وغدا عندي بستانان

(مشيرا إلى البستان الأول)

هذا الأولُ

(ملتفتا إلى البستان الثاني)

ذاك الثاني

المؤمن: (بهدوء)

هل تعطي حق الفقراء
مما قد أعطاك الله

المتشكك: (تعلو نبرة صوته)

لا أعطي شيئا للفقير
أو أعطي كي ينقص مالي؟!

لو يأتي يوما مسكين
كي يجلس ما بين ظلالي
(يشير بإصبعه باتجاه الباب)
أصرخ. هيا..هيا فاخرج
وابحث عن غيري في الحال
المؤمن:
هل تعرف حق الجيران ؟
المتشكك: (باستغراب و دهشة)
أو أعطيهم من بستاني ؟
وثماري! أتضيع ثماري؟!
لا أعطي تعبي للجار
هذا أمر لا أفعله
هذا أمر لا أقبله !!
المؤمن: (محذرا وناصحا)
احذر من كفر بالنعمة
أخشى أن تأتيك النقمة
فتخيلك والثمر الداني
رزق من رب الأكوان
المتشكك: (وقد تضايق من كلام شقيقه، محاولا تغيير الحديث، وداعيا شقيقه ليجلس معه على مقعد قريب)
دعني من هذي الأقوال
واجلس وتنعّمْ بظلالي
(يشير إلى النخل مفتخرا)
ما عندك ثمر من ثمري
مسكين أنت، ولا تدري
أموالي كالسيل كثيرة
و أنا أكثر منك عشيرة
المؤمن: (يقول منزعجا)
لكن ربك قد أعطاكا
كي تشكره ما أولاكا
(ثم يشير إلى النهر)
الدنيا زور وغرورُ
وعسى هذا الماء يغورُ
المتشكك: (يقف بتحد)
بستاني لا يفنى أبدا
وسيبقى لا يفنى أبدا
فأنا أسقيه، وأزرعهُ
و أنا من سوء أحفظهُ
(ينخفض صوته، ويتكلم ببطء، وهو مغمض العينين، كمن يحلم بشيء)
و سأحيا في ظل الشجر
أجني خيرات من ثمري
و أعيش سعيدا مسرورا
و يكون الإنتاج وفيرا
(يشير إلى البستان)
ما في الدنيا مثل ثماري
أو بستاني، أو كالداري!
هذي الجنة؟...بل هي جنةْ
فيها ما الإنسان تمنى
هي باقية أبد الدهر
و الخير بها ذهب يجري
(ملتفتا إلى شقيقه)
هذي الجنة، ليس سواها
ما أجملها! ما أبهاها!
المؤمن: (يقطع حديثه)
أذكرتَ جنات الرحمن
ذات البهجة والأفنان
المتشكك: (محتدا)
ليس هناك حياة أخرى
ما من عيش بعد القبر
مَنْ قال: الساعة قائمة
و سيأتينا يومُ الحشر؟!
المؤمن
لا تغترّ بمال الدنيا
واشكر ربك حق الشكر
المتشكك: (يتراجع قليلا عن موقفه، ويحاول استدراك ما فات)
قد.. قد نبعث بعد القبر
قد نبعث، وتقوم الساعة
المؤمن:
أين إذاً أعمال الطاعة؟
المتشكك: (بحدة)
لا أحتاج لها في الحشر
أموالي ترفع من قدري
(يشير إلى بستانه)
و سأعطى خيرا من هذا
وسأملك جنات تجري
إن كان هنالك آخرة
أو أن الساعة آتية !
المؤمن: (موبخا ومعنفا)
أو تكفر بالله الباري
أو تنسى نعم الغفار؟!
فالله تعالى الخلاق
قد أنعم وهو الرزاقُ
(ثم يشير بيده إليه)
من ذا؟ قل لي: من سواكا؟
وهو الخالق قد أنشاكا ؟؟
المتشكك: (في غضب)
أتوبخني في بستاني؟
أتعلمني من أنشاني؟
المؤمن (ناظرا ببصره إلى السماء)
لكنني عبد الرحمن
أعطاني عقلي وهداني
أعبد ربّاً قد ربّاني
في أحسن خلق سواني

(ملتفتا إلى شقيقه)

قل: حمداً، شكراً لله

لا قـــوة إلا بـــالله

المتشكك: (باستهزاء وغرور)

لكنْ ربُّك قد أغناني

ففدا عندي بستانان

وأنـا أغنـى.. أكثر مالا

وعمالا. بل أحسن حالا

المؤمن:

إن كان بنوك مع المال

أكثر، أو أحسن من مالي

فعسى ربي أن يؤتيني

ويبدل خيرا من شأني

وعسى أن يرسل إعصارا

يهلك أشجاراً وثمارا

فيصير البستان بواراً

ومياه تغدو أغوارا

المتشكك: (بغضب)

أنت عليه حقداً حسدا

جنـاتي لا تفنى أبـدا

المؤمن:

لست حسودا فاسمع قولي

المتشكك: (بإصرار)

لا، بل تحسدني في فضلي

المؤمن: (يهم بالخروج، و يلتفت إلى شقيقه)

فستذكر ما كنت أقولُ

المتشكك: (مستمرا في عناده)

لا أسمع ما أنت تقولُ

(يخرج المؤمن، ويبقى المتشكك وحيدا، ثم يصيح فرحا)

مـا أجملـه مـن بستان

فيـه مـن كـل الألـــوان

لا، بل عندي بستانان

أحيا بهما، وأنـا هاني

(يشير إلى البستان الأول)

هـذا الأول مـا أبـدعـه!

(ثم يشير إلى الآخر)

مـا أعظمـه هـذا الثاني!

* * *

المشهد الثاني

(لوحتان تمثلان بستانين قد يبست أشجارهما، وتساقطت ثمارهما، وتهدمت البيوت وأصبحت خرابا).

(يدخل صاحب البستان.. يفتح عينيه متدهشا، وقد عقدت المفاجأة لسانه، يضع يده على رأسه.. ثم يصيح)

المتشكك:

يـا.. ويلي، ويـلاه، ويلي!

جفت أرضي، ثمري، نخلي

أعنـابـي.. آه أعنـابي

أتعابي.. ضاعت.. أتعابي

أين ظلال النخل المثمرْ

والنهر العذب المتفجرْ؟!

(يعيد مقعدا إلى وضعه الصحيح، وقد انكفأ على وجهه، ويتابع ندبه وهو يضرب كفا بكف)

يا مالي الضائع، آمالي..

يا نخلي اليانع، يا عنبي

يـا نهرا عذبا لا يجري

أصبحتَ بعيدا عن طلبي!!

(يلتفت حوله و هو ينادي)

يـا جـيراني يـا جـيراني

أنـا في بحر من أحـزانِ

أحد الجيران: (يطل عليه وهو يقول)

لم تعرف حق الجيرانِ

هل ذاقوا ثمر البستانِ؟!

المتشكك: (ينادي بعصبية)

يا أنصاري، يا أعواني

أنـا في بحر من أحـزانِ

أحد الأعوان: (يطل ويقول)

لا تطلب عونا من أحد

لم تعرف حق الأعـوانِ

المتشكك: (يصيح يائسا)

يا إخـواني.. يا إخـواني

المؤمن: (يدخل في هذه الأثناء)

لم تعرف حق الإخـوانِ

لم تذكرهم بالإحسانِ ؟!

المتشكك: (يتضجر يرفع صوته)

يا شيطاني.. يا شيطاني

المؤمن:

نـادِ لتظفـر بـالخـذلانِ

كنـت معلمـا للشيطانِ

المتشكك: (استبد به اليأس من نجدة المعارف والأتباع فيصرخ باكيا)

من يرمي لي حبل أمانِ؟

من ينقذني؟ من ينجدني؟

من يرجع جناتي خضرا

وسأعطيه الأجر وعشرا

المؤمن:

لـن يرجعهـا أحـد أبـدا

لن يصلح منها ما فسدا

المتشكك: (نادما حظه من جديد)

ضاعت أمـوالي، أرزاقي

كيف سأحيا في إملاقِ؟!

يا ليت الإشـراك بربي

لم يدخل يوما في قلبي

المؤمن:

لن ينفع دمع وندامة

فعلام الآهات علامة؟!

أو لم تنكر بالله إصرار

وتقل: ليس هناك قيامة؟!

المتشكك: (يتوسل)

ليت مياه النهر تعودُ

يوما كي يخضر العودُ

كي أسقي زرعي ونخيلي

كي أروي بالماء غليلي

أحد الجيران: (بهدوء)

ذيل الزرع، وغاض الماءُ

فاندب.. لا يجديك بكاءُ

المؤمن: (بتوبيخ)

أولم تكفر من يومين؟

وتباهيت ببستانين؟

(متهكما):

لم لم تُنحر بالأموال؟

لم لم تحفظ من أهوال؟

(يلتفت إلى البستانين)

أمر الله أتاها ليلا

فغدت يبسا، وغدت وبلا!

لا نبتَ فيها، لا ثمرُ

لا زرعَ يبدو، لا شجرُ

(ينقل بصره بين شقيقه و بين البستانين):

أنت اخترتَ لنفسك هذا

فاحصد ما زرعته يداكا

من يشرك بالله تعالى

فسيلقى ما قد أخزاكا!

فعلام -قل لي- تتباكى؟؟

المتشكك: (غاضبا، ومنكرا)

ليس صحيحا قولك هذا

فلماذا تتهم لماذا..؟

المؤمن: (مفحما له)

أولم تكفر بالرحمن

وتقل عندك بستانان؟

وتقل: إنهما كالجنة؟

وثمارهما ليست تفنى؟

المتشكك: (بانكسار)

قلت وكان القول غرورا

ذلك من جهلي وغبائي

المؤمن: كنتَ جحودا، كنت كفورا

نلتَ بذلك بعض جزاءِ

المتشكك: (باستسلام)

صار حطاما ما أملكهُ

المؤمن: (مشيرا للأشجار)

والله تعالى أهلكهُ

لكفي أنفقت المالا

أبغي وجه الله تعالى

المتشكك: (بانكسار وأسى)

مالك باق، مالك باقي

المؤمن: (يرفع كفيه)

حمدا لله الرزاق

حمدا لله الرحمن

فهو إلهي لا ينساني

(يخرج المؤمن مع الأعوان والجيران، ويبقى المتشكك يقلب كفيه).

(ستار)

• هذه المسرحية الشعرية تحكي القصة القرآنية في سورة الكهف الآيات: (٣٢-٤٤).